(٢٤)

صلاة
جمعة القيام
ويتيمة الصيام

حديث الجمعة

٣٠ رمضان ١٣٨٠ هـ - ١٧ مارس ١٩٦١ م

أستغفر الله استغفارا أرجو برحمته أن يشملني ويشمل الناس جميعا. وأحمده تعالى حمدا برحمته أرجو أن يشملني ويشمل الناس جميعا. وأستعين به استعانة أرجو برحمته أن تكون عونا لي وللناس جميعا.

عباد الله: اذكروا الله كثيرا في أنفسكم، وفيما حولكم، وتأملوا أمره في أمركم، وتأملوا قدرته في خلقكم، وتأملوا رحمته فيما يحيط بكم من حياتكم. لا تبتعدوا كثيرا عن حاضركم، متأملين، قارئين، متتبعين. واعلموا أن الحاضر - وأنتم تبيتون فيه وتصبحون وتقيمون فيه وتغدون - إنما هو عين أمسكم، وإنما هو عين غدكم. فلا تباعدوا بينكم وبين حقائق الله بالمباعدة بينكم وبين حاضركم متبصرين مدركين.

لو اطلعتم الغيب من أمركم لاخترتم الواقع من قيامكم. ولو عرفتم أن غدكم إنما هو عودتكم ليومكم، وأن أمسكم كان قديما من حاضركم وقيامكم، وأنكم بهذا الحاضر المدرك المشهود لكم أرواح مخاطبة من أصلكم وإنسانكم بألست بربكم! مجيبة ملبية بمراده فيما أراد بها من حكمة خلقها وإيجادها.. لبت كلها بلىَ عن بكرة أبيها، وأن بعثها من أمسها ما هو إلا قيامها بيومها، وأن بعثها في غدها ليس أكثر من تواجدها مرة أخرى على صورتها من قيامها، على مثال مما جاءت به في يومها من أمسها، لا تغيير ولا تبديل. {صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة}[1] قيامتها في كشف الغطاء عنها، وساعتها في يقظة الضمير منها. والإنسان بين خلق وحق. فهو في لبس من خلق على ما خلق في يومه بأخلاق أمسه من حقه. وهو في حق ما تحرر من حاضر خلقه إلى حق أمسه بالحق في غده من خلقه.. فإذا قدرت

له إلى الأرض عودة كانت له على ما هيأها عودا بحق أو عودا بخلق.. فإذا عاد بحق - وهذا هو القليل النادر - كان صاحب دعوة وصاحب رسالة وصاحب معنى. وإذا عاد بخلق كان صاحب مجاهدة أو صاحب معاندة. فإذا عاد بحق ظهر في مجاهدة ميسرة، وعاد في حياة موفقة، وعاد في يقظة محققة. فإذا تحجب بخلقه عن حقه واصل حياة من المعاندة، وقياما من المكابرة، وصورا من الغفلة. وهو في غيبته حتى عودته في نعيم عمله أو جحيم غفلته.

هذا هو الإنسان في شقيه من الخلق والحق، وفي داريه من الغيبة والعود. يعمل في دائرة مجاهدته أو في دائرة مكابرته ومعاندته بنظامه الذي تشهدون.. فردا في أسرة ورأسا لأسرة.. فردا في أسرة من الحياة المادية ورأسا لأسرة من الحياة المادية.. فإذا صلح بشقيه من أسرة انتسابه وأسرة اكتسابه صلح للحياة الحيوانية، صلح للحياة الدنيوية والحياة الأخروية.. صلح للحياة.. صلح لوصف البشرية.. صلح لوصف الإنسان.. في أي صورة ما شاء ركبه، إنسان ربوبيته.

إذا عرفنا ذلك.. عرفنا أن عنوان المحبة الرتق في الحقيقة، وعنوان المسغبة هو الفلق في الخليقة، وكانت المعرفة إنما هي في اجتماع كائنين في نجوى عنه ومحبة له.. في مجال خلقهما وفي مجال حقهما، يثمر اجتماعهما ثالثا لهما من مجاليهما من حقهما ومن خلقهما.. فهم في خلقهم بإثمارهم شجرة من نواة تجمعت أجزاؤها وارتفع بناؤها وقد طابت كلمتها.. وما كلمتها إلا كلمة الله، إلا ذكر الله، إلا النجوى في الله رابع ثلاثتها بأحدية حقه في وحدانية هذا الثالوث الخلقي من الخلق.

البيت.. البيت.. المؤسس.. البيت المتجمع.. البيت ذي اللبنات من الناس.. البيت ذي الوحدات.. البيت ذي الأركان.. البيت الذي هو عنوان البناء، وعنوان البنيان، وعنوان الباني.. ثلاثة رابعهم كلبهم، وثلاثة رابعهم ربهم.. ثلاثة ليسوا بثلاثة ولكنهم واحد جمعته المحبة.. قاموا أمرا لله وجددوا وحدانية خلق لله بحيوانية أنشأوها على حقية حققوها. فمثل الكلب بأمانته وأنفه مظهر الحيوانية لهم.. وقام الله بحق الوحدانية بهم عليهم.

إن الإسلام تكلم وعرَّف، وأمر، ووجه، وهدى في أمر اجتماع الناس على من يؤمهم، وفي أمر اجتماع الناس في كل أسرة على من يقدمهم، وفي أمر اجتماع الناس من ذكر وأنثى بما شرع وعلى ما رسم ليكونوا زوجين في الله.. فيه يتناجيان وبرحمته وبعطائه يتناسلان.. في الدوحة الأزلية للإنسان.. لا بدء لها.. الله بدايتها ولا بدء له.. ولا انتهاء لها.. الله نهايتها ولا انتهاء له.

القيامة إنما هي في قيام الحق على مفرداتها، وعلى أسرها، وعلى مجتمعاتها. القيامة إنما هي قيام الحق في أنديتها.. في سرها.. في نجواها.. في علنها.. في جهرها.. في فعلها.. في قولها.. في انقطاعها.. في

التئامها. عذابها في فرقتها وفي تقطع الأسباب بين مفرداتها، في تجاهل وحدتها من قيامها - جزاء فعلها وجزاء إرادتها -.

ليس هناك من مجهول عليكم بعيدا عما هو كائن بكم. إن بدء الحياة على ما تشهدون في إدراككم كيف بدأتموها، وانتهاء الحياة فيما تشهدون كيف تنهونها. وإن البعث إنما هو في عودتكم إليها.. وإذا عدتم إليها فأنتم بين مكرمين وبين مهانين على ما تشهدون من كرم أو هوان في أنفسكم فيها.

إن الذين خدعوكم بجهلهم وكتبوا كتابا بأيديهم وحرفوا الكلم عن مواضعه، تحدثوا إليكم قبل أن يتحدثوا إلى أنفسهم. تحدثوا وقلوبهم لم تصغَ.. تحدثوا وعقولهم لم تستنر.. قاموا على الناس وهم غبار الأرض أصاب العيون بالأذى، وحجب عن أهل الأرض أضواء السماء وصفاء السماء.. وحقائق السماء، ووجوه السماء بينكم تُرى في صفاء النفس، وفي جلوة القلب لراءٍ عكس بصره في بصيرته فرأى، وتأمل في نفسه فوعى، ولم يفرِّط في أمره فرعى، جامعا جوارحه على وجدانه من عقله وبنيانه، جامعا غيبه على حسه، وماضيه على حاضره من أمره.. لم يكن أمره فرطا، لم يفرط في أمر نفسه، وعلم على ما علَّمه المعلِّم - أن الله قائم على كل نفس - وعلم أنه بقيام الله على كل نفس كان لكل نفس قيامتها ودنياها، وآخرتها وحسابها، وعقابها وجزاؤها وعطاؤها.. جنتها فيها ونارها منها.. قطوف الجنة دانية ما جناها وألم النار مبرزا ما أدركه.

إن الذين غيبوا حقائق الأديان عن عباد الديان ضل سبيلهم وأضلوا فما كسبوا إلا ضلالا لأنفسهم وضلالة للناس. إن الذين أمروا ولا معروف لهم، ولا معروف في أمرهم، ولا معروف في قلوبهم، ولا معروف في عقولهم، ولا معروف في نفوسهم، إنما يدعون إلى جبلتهم من تراب الأرض، وإلى كتاب أنفسهم من إدراكهم، ولا مصدر للإدراك فيهم. هم شياطين الإنس يعوذون في أمرهم بمثالهم من شياطين الجن. وحيهم العزة والغرور ووصف فعلهم الفجور. لا يريدون أن يحكموا على أنفسهم ولكنهم يريدون أن يحكموا على الناس وهم نيام لم يستيقظوا بعد.

إن اجتماع كائن بشري اكتسب وصف الكينونة البشرية على كائن بشري اكتسب وصف الكينونة البشرية وهو أمر في الإنسان - إذا تم هذا الاجتماع بهذا الاتصاف - كان الأمر أمرا جللا.. لأنه اجتماع عالمين.. لأنه اجتماع أمرين لله.. لأنه اجتماع حقين في الله.. لأنه اجتماع شقين من حقيقة.. فيها الله بمحبته.

يوم اجتمع عبد الله بآمنة، ويوم اجتمع محمد الله بخديجة، ويوم اجتمع العليُّ في الله بنفسه في فاطمة، هذا الثالوث من التجمع المتعاقب، هذا الثالوث من التجمع المحيي لأسر بعثه، أحيا الله فيه بعبد الله وآمنة قريشا، وأوجد به فيها أمرا، وجعل به لها رزقا، وجدد فيه لقديم الإنسان بيتا.

ويوم اجتمع محمد بنفسه تتكامل في خديجته تبحث عن كمالها، وتفكر في حقي شقيها، وتواصل تجربتها وتسعى هي لبعلها، جدد بها في الإنسانية أمومة.. أمومة شاملة راحمة.. أمومة كاملة. جمع فيها باجتماعها على بعولتها من الخلق في سبق أزواجها، وعلى بعلها من الحق بختام ازدواجها، فكانت عنوان الرحمة الكاملة، وعنوان الأمومة الواسعة الشاملة.. أم أبنائها.. أم بناتها.. أم ذريتها.. أم حقائقها. كانت بدءا يظهر على الأرض ولا يلبث أن يختفي عودا إلى عالمها.. إشعارا بوجودها وتدريكا بأمرها...

فكان الرسول بها رحمة للعالمين حقا، وكان للأمومة الكاملة بعلا وللناس أبا، فكان بذلك لحق في الله بدءا، ولعالمه الوليد تجديدا لقديم مما هو فيه بوصفه عبدا لله. فكان بجديد عبوديته لقديم عبوديته إلى مجددها منه رسولا لله. منه تواجد الرسل في أمته بعثا، وجوها له - وبه عمل الرسل في أمته أيدي له، وبه سار الأئمة في أمته أقداما له.

هذا هو رسولكم.. هذا هو نبيكم.. هذا هو إمامكم.. هذا هو فرطكم على الحوض. ينسب جهلاؤكم له شفاعة من وضعهم وينكر جهلاؤكم عليه الشفاعة بجحودهم. وما شفاعته إلا إدراك قيامه في جدته منكم بينكم لتكونوه. وقد جدد نفسه بينكم قبل أن يفارق، وجددت نفسها قبل أن تفارق، جددها بالعليِّ من صحبه.. جددها بعَليٍّ من صحبه - بعلا على مثال من بعولته - جددها بفاطمة من نفسه على كمال من خديجة، في تجديد خديجته.. تجدد برجولته وأبوته، وتجدد بأنوثته وأمومته.. تجدد بإمامته، وتجدد برحمته.. في زوجين تأسس بهما بيت له، كما تأسس به وبخديجته بيتا لأبيه، كما تأسس بأبيه وأمه لله بيت جديد من قديم فيه فكانت مفردات أمره ليست مفردات من الناس، ولكنها مفردات من البيوت ترفع وتوضع حتى يكون لكم به أسوة، وحتى يكون لكم بالانتساب لأمره عزوة، وحتى تكونوا إن صدقتم فيه مفردات في بيت وأسرا في بيوت. لقد كان في الله جماع كلمات، وعقد آيات، وكتاب بينات.

هذا دين القيمة.. هذا دين كمل للناس به أمرهم، وقيامهم، وشأنهم، وغايتهم، وصرحهم، وهدفهم، ورجاؤهم.

كلكم راع.. خيركم خيركم لأهله.. كلكم أبناء للإنسان.. كلكم الله قائم على كل نفس منكم.. اذكروا ربكم في أنفسكم، بعثكم، قيامتكم، جنتكم، ناركم، حسابكم.. فيكم. ربكم فيكم من بينكم، وإلهكم عليكم منه أنتم. حاسبوا أنفسكم، موتوا قبل أن تموتوا. إن غدكم سوف لا تجدون فيه إلا محاسبتكم لأنفسكم، وقيامكم بأنفسكم في أنفسكم على أنفسكم. جل الله عما تصفون فإنه لا يوصف، وعز على ما تتصفون فإنه لا يتصف. إنه قريب أقرب إليكم من حبل الوريد. ولكنكم تجهلون أو تتجاهلون.. وهو الأكبر مما تتصفون، وهو الأكبر مما تقومون، وهو الأكبر مما تصدقون، وهو الأكبر مما تتطهرون، وهو الأكبر مما تتطورون. إنه الأكبر دائما وأنتم بالعبودية له الأصغر دائما وبغير العبودية له لا تتواجدون. وأنتم في صوركم من عوالمكم اليوم ما تخلقتم وما خلقتم إلا بما تتخلقون وبما تصنعون.. مثقال ذرة من خير ترونه ويراكم، ومثقال ذرة من شر ترونه ويراكم. إنكم من عملكم تتواجدون على ما تتهيؤون، فإلى أي أهل بيت تنتسبون؟ وإلى أي أهل تدعون؟ أإلى أهل الرحمن عبادا للرحمن تدعون؟ وأبناء للإنسان تتواجدون؟ أم مع الشيطان بعزة تعتزون؟ وعلى العزيز به في الخلق تتعالون؟ فأسرة الشيطان تنسبون؟ وبيته تطوفون وتدخلون!

إلى متى عباد الله لأمر الله تتجاهلون؟ وللحق في قلوبكم تغيّبون وعنه تغيبون وهو معكم وما تدركون؟ اذكروا ربكم في أنفسكم أيها المستيقظون وعنه لا تغفلوا. فإن فعلتم فإنكم إياه معكم سوف تجدون وبقليل من الجهد له تدركون. يظهر لكم فيكم باعتقادكم فيه فلا تُصعقون، كما صعق في مشهده الأولون.

هذا هو الحق.. هذا هو الدين.. هذا هو الإسلام.. هذا هو اليقين.. فإلى متى نغفل؟

نسأل الله أن يوقظنا إلى أمره، وأن يهيئنا في أمره، وأن يقومنا بأمره، وأن يقيمنا في الناس على أمره. نسأل الله أن يبعد عنا فتنة أنفسنا، وجحود أنفسنا، وضيق أنفسنا، وجهل أنفسنا، وقنوط أنفسنا، ويأس أنفسنا، واستعلاء أنفسنا على ضعفها، وأن يجعل منا نفوسا طليقة برحمته، مدركة طيعة لأمره، متقبلة لفيوضات حكمته.

لا إله غيره ولا معبود سواه والله أكبر.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا. اللهم وفقنا وسدد خطانا، واهدنا سبيلنا، وخذ بيدنا، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، أئمة ومتابعين.

أضواء على الطريق

(عندما بدأنا عملنا، احتقرنا الناس وأشار أصبع الازدراء إلى مجهوداتنا الهزيلة، مستهزئين، ساخرين، قائلين (مديرو المناضد) ولكنها كانت جزءا من عمل جبار، وببطء نما تأثيرنا وانتشر. وكل الذين أمروا في دنياكم بتحمل الخدمة الرفيعة في جنبات الحياة جئنا بهم إلى دائرة تأثيرنا. اخترناهم لأننا عرفنا أن شهادتهم سوف يحترمها الجميع إلا الذين عميت عيونهم بالتعصب وحُجبت بصيرتهم بالخرافات).

من هدي السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة البقرة - ١٣٨